

الرّو السّاطع على نزوح اليهود والنصارى أن القرآن يقر صحة التوراة والإنجيل التي بأيديهم اليوم

لأبي مريم عيسى الأثري

بعد أن بيّنا في مقالين سابقين نشرنا في مجلة الحكمة وجود التحريف والتلاعب في التوراة والإنجيل ، بل وأثبتناه فيهما بالحجة الدامغة والبرهان القاطع ، وبما يعجز عن رده أو إنكاره أكبر العلماء اللاهوتيين ، والحمد لله رب العالمين ؛ فإننا نناقش في هذا البحث موضوعاً له صلة بالموضوعين السابقين هو احتجاج اليهود والنصارى بآيات قرآنية كريمة يزعمون أنها تثبت صحة التوراة والأنجيل الموجودة ، وثقروا ما فيهما ، ويقولون: لو كانت أسفار كتابهم المقدس محرفة فكيف يكون القرآن مصدقاً لما بين يديه ؟ فلو كان كتابهم المقدس محرفاً فمعنى ذلك أن القرآن يؤيد كتاباً محرفاً ، وهذا كما يقولون لا يرضاه المسلمون ولا القرآن نفسه - على حد تعبير القس إبراهيم لوقا وغيره .

يستدل علماء اليهود والنصارى بالآيات الآتية: ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾^(١) ، ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾^(٢) ، ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾^(٣) وآيات أخرى كثيرة .

(١) سورة آل عمران: ٢ .

(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

(٣) سورة المائدة: ٤٤ .

وربما يقول قائل: إذا كانت آيات القرآن هذه وغيرها تنصُّ على أن القرآن يؤيد أو يُصدّق ما بين يديه من الكتب ، فكيف يدعي المسلمون أنها محرفة؟؟
ونترك الإجابة عن هذه المسألة لأكبر وأشهر وأخطر القسيسين في مصر ، وهو الأستاذ العلامة إبراهيم خليل فيلبس ، الذي صار فيما بعد الشيخ إبراهيم خليل أحمد ، بعد أن هداه الله تعالى للإسلام ، فأجاب عن هذا الموضوع في المناظرة العظيمة التي جرت بينه والدكتور محمد جميل غازي والدكتور أحمد عبدالوهاب من جهة ، وبين القس الدكتور جيمس بخيت ومن معه من جهة أخرى ، وذلك سنة ١٩٨٠م في الخرطوم ، وانتهت بإسلام القسيسين ، والحمد لله رب العالمين ^(١).

قال فضيلته: إن القرآن الكريم دقيق كل الدقة ، فهو لم يذكر العهد القديم، ولا العهد الجديد ، ولكنه ذكر التوراة والإنجيل ، ولما جاء القرآن ليذكر العهد القديم والعهد الجديد بالكتاب ، ماذا قال؟! : قال في سورة آل عمران: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ ^(٢) ؛ إذن عندما ذكر الكتاب كله بدأ القرآن يوجه التوجيه السليم والصحيح ، وكذلك في سورة النساء يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ ^(٣) ، وجاء في سورة المائدة: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ ^(٤).

إذن لما جاءت الإشارة إلى الكتاب جاءت الإشارة بالتنويه إلى التصحيح ،

(١) انظر تفصيل المناظرة في كتاب (مناظرة بين الإسلام والنصرانية) .

(٢) سورة آل عمران: ٦٤ .

(٣) سورة النساء: ١٧١ .

(٤) سورة المائدة: ١٦ .

ولكن عندما يتحدث عن التوراة والإنجيل يقول: ﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل ﴾^(١).

جاءت الإشارة بالتصديق دون أن يذكر العهد القديم ولا العهد الجديد .

وهنا وجه له سؤال: كيف يقول القرآن الكريم: ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾^(٢) ، ويقول في المائدة: ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾^(٣) ، ويقول في آل عمران: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾^(٤) . فأي توراة يقصد وأي إنجيل؟ .

أجاب فضيلته: إن التوراة الموجودة اليوم مُدبجة بكلام ينسب لموسى عليه السلام ، وليس كل ما فيها كلام موسى ، وكذلك الإنجيل مُدبج بكلام يُنسب للمسيح عليه السلام ، ولكن ليس كل ما فيه كلام المسيح .

وقال الدكتور محمد جميل غازي في المناظرة نفسها:

قال الله تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾^(٥) وقال الله تعالى: ﴿ ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾^(٦)

ربما فهم بعضهم من تصديق القرآن للكتب السابقة أنه يزيل الاتهام عنها ، ويُقرّ بما جاء فيها ، حتى لو كان مُغيّراً محرّفاً ، وهذا فهم سقيم وغير سليم .
إن الذي يظهر لنا في الآيات الكريمة ما يأتي:

(١) سورة آل عمران: ٣.

(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

(٣) سورة المائدة: ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران: ٩٣ .

(٥) سورة المائدة: ٤٨ .

(٦) سورة آل عمران: ٤-١ .

١- القرآن مصدق كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ... ﴾ ^(٢) .

٢- القرآن مهيمن: لأنه في الوقت الذي سمى الله فيه القرآن ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ سماه ﴿ مُهَيْمِنًا ﴾ ، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) .

المهيمن: الشاهد المؤتمن الحاكم ، فيشهد بما في هذه الكتب من الحق ، ويبين ما حُرِفَ فيها ، ويحكم بما أقره الله وأمر به من أحكامها ، وينسخ ما نسخه الله منها ، وهو مؤتمن عليها في ذلك كله ، قال ابن جريج: « القرآن أمين على ما قبله من الكتب ، فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فإن كان في القرآن فصدقه وإلا فكذبه » ^(٤) .

وأورد البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: « يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أصدق الأخبار ، تقرؤونه لم يَشُبْ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، وقالوا: ﴿ هذا من عند الله ﴾ ^(٥) .

أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم » ^(٦) .

وقد روى أحمد من حديث جابر مرفوعاً: (لا تسألوا أهل الكتاب عن

(١) سورة المائدة: ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران: ٢ .

(٣) سورة المائدة: ٤٨ .

(٤) في تفسير ابن كثير ج ٢: ص ٦٦ قال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل .

(٥) سورة البقرة: ٧٩ .

(٦) رواه البخاري: ٢٦٨٥ ، ٧٣٦٣ ، ٧٥٢٢ ، ٧٥٢٣ .

شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا (١).

٣- الكتب السابقة تؤيد القرآن: قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿فإن كنت في شك مما أنزل إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ (٢).

هذه الآية الكريمة لا تدل على وقوع الشك ، فإن النبي ﷺ لم يكن شاكاً ، ولا سأل أحداً منهم ، بل روي عنه: (والله لا أشك ولا أسأل) (٣) ، ولكن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم من الأدلة والبراهين ما يؤيدك ويصدقك فيما كذبك فيه الكافرون ، كما قال تعالى في سورة الرعد: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (٥) ، وقال تعالى: ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ (٦) ، وقال تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ، الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ (٧) ، وقال الله تعالى: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا

(١) وفيه زيادة (إن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل) ، قال الحافظ إسناده حسن / فتح الباري: ج ١٤ ، ص ٤١٢ ، كتاب الاعتصام .

(٢) سورة يونس: ٩٥ .

(٣) قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (لا أشك ولا أسأل) وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري ، تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٤) سورة الرعد: ٤٣ .

(٥) سورة الأحقاف: ١٠ .

(٦) سورة الشعراء: ١٩٧ .

(٧) سورة القصص: ٥١ - ٥٣ .

آمنا فآكتبنا مع الشاهدين ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً
نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ﴿٢﴾ ، وقال تعالى: ﴿الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ ﴿٣﴾ .

هذه الآيات الكريمة تؤكد لنا أن الكتب المتقدمة فيها إشارات وبشارات بمحمد
ﷺ وبملائته وبأئمة ، وقد يقول قائل: ألا تحتل هذه الآيات أن ما في أيدي
أهل الكتاب صحيح لم يُحرّف ؟

نقول: إن هذه الآيات لا تتحدث عن التحريف ، وإنما تشير إلى حقائق
عدة، جحدتها الكفار ، وهي مذكورة مسطورة عند أهل الكتاب في كتبهم،
وهذه الحقائق هي:

١- إن الكتب المتقدمة تؤكد أن موسى عليه السلام وغيره من رسل الله عليهم
الصلاة والسلام دعوا إلى عبادة الله وحده ، ونهوا عن الشرك ، فكان في هذا
حجة على من ظن أن الشرك دين ؛ قال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من
قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾ ﴿٤﴾ ، وقال تعالى:
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ﴿٥﴾ .

٢- إن أهل الكتاب يعلمون أن الله أرسل إلى الناس بشراً مثلهم ، ولم
يرسل إليهم ملائكة ، فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكاً
أو يرسل بشراً معه ملك ، ويتعجبون من إرسال رسول بشري ليس معه ملك
ظاهر ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة المائدة: ٨٢ - ٨٣ .

(٢) سورة الأنبياء: ٧ .

(٣) سورة البقرة: ١٤٦ .

(٤) سورة الزخرف: ٤٥ .

(٥) سورة الأنبياء: ٢٥ .

(٦) سورة الأنبياء: ٧ .

٣- أن يسأل المسلمون أهل الكتاب - ولا شك أن أهل الكتاب عندهم بهذا إثارة من علم - عما جرى للرسول مع أمهم ، وكيف كانت عاقبة الذين آمنوا بهم ، وعاقبة المكذبين لهم .

٤- أن يسأل المسلمون أهل الكتاب عن أصول الدين الذي أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو دين الإسلام ، وعن أوامره ونواهيه : كالأمر بالتوحيد ، والصدق ، والعدل ، والبر ، والوفاء بالعهد ، وصلة الأرحام وكالنهى عن الشرك ، والظلم ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٥- يسألونهم عما وصفت به الرسول ربهم ، هل هو موافق لما وصفه به محمد ﷺ أم غير موافق ؟

٦- يسأل المسلمون أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - عما لديهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد ﷺ التي تحدث عنها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿... الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾^(٢) .

فإن قال قائل: فإن أهل الكتاب لا يصدقون هذه البشارات ولا يقولون بها ، قلنا له: هذا مستحيل عقلاً ، لأن الكثيرين من علماء أهل الكتاب وعامتهم دخلوا في الإسلام وحسُن إسلامهم ، وما كان لهم أن يدخلوا ذلك الدين الذي يكذب عليهم في أوضح ما لديهم من مقررات .

فإن قال قائل: إذا كنتم تعتمدون على كتبنا في صدق نبوة محمد ﷺ والتبشير به ، فإن كتبنا على هذا تكون صحيحة ومبرأة عما وصفتموها به من التبديل والتحريف !!

(١) سورة الأعراف: ١٥٦ .

(٢) سورة الصف: ٦ .

قلنا له: إن هذه التوراة وهذا الإنجيل فيهما حق وباطل ، وقد اختلط هذا بهذا ، فإن قال قائل: إنا نجد في القرآن الكريم آيات تشهد بصدق التوراة - كما هي اليوم - وتشهد بصدق الإنجيل - كما هو اليوم - وتؤكد أن الكتابين لم يصابا بتحريف ولا تزيف ، والأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾^(١)

وقوله تعالى: ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾^(٢) ، الجواب عن ذلك:

١- إن القرآن الكريم كما ذكر تلك الآيات فإنه في الوقت نفسه يبين أن أصابع العيب والتحريف قد امتدت إلى هذه الكتب؛ كما قال الله تعالى: ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾^(٣) ، ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾^(٤) ، وقال تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾^(٥) ، ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾^(٦) ، وقال تعالى: ﴿ ... يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾^(٧)

وقد روى أحمد من حديث جابر مرفوعاً: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا)^(٨) .

(١) سورة المائدة: ٤٣ .

(٢) سورة المائدة: ٤٧ .

(٣) سورة البقرة: ٧٥ .

(٤) سورة البقرة: ٧٩ .

(٥) سورة المائدة: ١١٣ .

(٦) سورة المائدة: ١٥ .

(٧) سورة المائدة: ٤١ .

(٨) تقدم تخريجه .

٢- إنه ما زال في هذه الكتب شيء من الحق ، وإن كان قد بدلت وغيّرت ألفاظه ؛ إما بحكم الترجمة أو بدافع الأغراض الشخصية ، ولذلك لو نظرنا في الآيات الكريمة من سورة المائدة من (٤١ - ٥٠) ، فإننا نجد أن الله تعالى أمر أهل الكتاب - أي أهل التوراة - أن يحكموا بما أنزل الله في كتابهم ، وأمر أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله في كتابهم ، والله تعالى أنزل في التوراة وأنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد ﷺ ؛ وإذا لم يحكموا به فكأنهم لم يحكموا بالتوراة والإنجيل ، وإذا لم يؤمنوا به فكأنهم لم يؤمنوا بما في التوراة والإنجيل ، وقد ثبت هذا في كتب الصحاح والسنن والمسانيد ؛ ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى الرسول ﷺ ، فذكروا له امرأة منهم ورجلاً زنيا ، فقال لهم الرسول ﷺ : (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم) قالوا نفضحهم ويُجلدون ، فقال عبدالله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبدالله: ارفع يدك فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما ^(١).

وأخرج مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه مرّ على رسول الله ﷺ يهودي محمم ^(٢) مجلود ، فدعاهم ، فقال: هكذا تجدون حد الزنى في كتابكم ؟ قالوا: نعم ، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم ؟ قال: لا ، ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك ، نجد الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ؛ فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم) ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم - إلى قوله - فأولئك هم

(١) رواه البخاري ومسلم ومالك ، وأبو داود والترمذي / جامع الأصول: ١٨٥٣ .

(٢) قال ابن الأثير رحمه الله: التحميم: تسويد الوجه / جامع الأصول ج ٢ ص ١١٧ .

الكافرون - إلى - الظالمون - إلى :- الفاسقون ﴿ قال هي في الكفار كلها ^(١) .
وعما سبق سرده يتضح لنا أن المقصود تحكيم هذه الكتب فيما يتفق مع القرآن
لا فيما يناقضه أو يخالفه ^(٢) .

لقد أثبتنا في هذا البحث وجود التحريف والتلاعب والتزوير في كتبهم
المقدسة، وبيننا أن كتبهم التي يزعمون أنها مقدسة تُكيل السباب والشتائم للخالق
جل وعلا ، وتتهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بارتكاب الفواحش
والأعمال القبيحة والمنكرة ، وفيها أيضاً طعن في المسيح وأمه عليهما السلام ،
مع الكثير الكثير من التناقضات والاختلافات والمغالطات التي تقدم بيان شيء
منها .

إن أي كتاب كان يقال عنه: إنه كتاب سماوي ، معناه أنه كلام الله أنزله
على أنبيائه ورسله ، فيقتضي أن يكون موزوناً دقيق العبارة والتعبير خالياً من
الأغلاط والأقوال المنكرة والقبيحة ، كيف لا وهو كلام الله ؟!

ويتضمن أيضاً التنزيه المطلق لله تعالى عن النقائص والطعن ، ولكن هذا كله
مما يفتقر إليه الكتاب المقدس ، فهل القرآن يحتوي على مثل ما احتوى عليه
كتابهم المقدس حتى يقال إن القرآن يؤيد ويصدق الكتاب المقدس ؟ لا والله ؛
فكيف إذن يؤيد القرآن الكريم كتبهم المقدسة ؟

لقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الكتب فيها حق وباطل ، فعلى الرغم من
وجود التحريفات والتناقضات والسباب والشتائم والأقوال المنكرة القبيحة فما زال
فيها شيء من الصحة والكلام الطيب ، مثل توحيد الله ، وبعض الوصايا
الطيبة، والبشارة بنبو محمد ﷺ ، وبعض الأحكام الأخرى ؛ فالقرآن الكريم
يصدق الكتاب المقدس في هذه الجوانب ، ويتبرأ منه في الجوانب التحريفية التي
أشير إليها فيما تقدم ، وقد قدمنا قبل قليل الجواب عن احتجاجهم بتلك الآيات
القرآنية . وقولهم: إن القرآن يؤيد الكتاب المقدس ويشهد له بالصحة - كما زعم

(١) رواه مسلم وأبو داود / جامع الأصول: ٥٩٦ .

(٢) نقلاً عن كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ص ٤٠١ وما بعدها .

إسكندر جديد وإبراهيم لوقا والأستاذ الحداد وغيرهم - يقتضي أمرين:

١- أن يكون كتابهم المقدس كالقرآن صحيحاً خالياً من التلاعب والتحريف، وهذا مستحيل لما تقدم إثباته .

٢- أن يكون القرآن الكريم قد ضم شيئاً من التحريف والتلاعب والتزوير والسباب والشتم لله تعالى وللأنبياء وغير ذلك مما ضمه كتابهم المقدس ، وهذا أمر من المحال ؛ فالقرآن الكريم موجود ، ونتحداهم أن يأتوا ولو بآية واحدة فيها شيء من ذلك ، لأن القرآن الكريم قائم على التنزيه المطلق لله تعالى ، والعبارة المتينة ، والبلاغة التي يعجز عنها البشر ، والسبك العظيم الذي أذهل العلماء على اختلاف اختصاصاتهم ، وغير ذلك مما امتاز به القرآن الكريم، ولو أن أي قسيس كان تجرد عن العصبية والهوى ، وقرأ القرآن بتدبر، فإنه لا يملك إلا أن يعلن عن إسلامه ، كما حصل للأستاذ إبراهيم خليل فيلبس، الذي كان أكبر وأشهر وأخطر القسيسين في مصر ، فهده الله تعالى للإسلام ؛ وكذلك الدكتور موريس بوكاي ، والقس الأستاذ عبدالأحد داود رحمه الله تعالى ، والدكتور آرثر بيلا ستوس الرجل الثالث في مجمع كنائس قارة آسيا ، والذي سمى نفسه خالداً ، وغيرهم كثير .

وخلاصة الكلام في هذا الموضوع أن الكتاب المقدس فيه حق وفيه باطل، والقرآن الكريم يؤيد الحق الذي فيه ، وينكر الباطل الذي فيه ، وواجب المسلم نحو الكتاب المقدس: أن يثبت ما أثبتته القرآن وينكر ما أنكره القرآن ، ويسكت عما سكت عنه القرآن .

شبهة والجواب عنها:

قال القس إبراهيم لوقا: « شهد القرآن للنصارى بالتوحيد والإيمان الحق ، فقد جاء في سورة البقرة: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ^(١) ، وأضاف القس لوقا: قال البيضاوي في تفسيره:

(١) سورة البقرة: ٦٢ .

« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً: من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقاً بقلبه بالمبدأ أو المعاد عاملاً بمقتضى شرعه» .

قال القس لوقا: وبحكم هذه الآية وتفسيرها يكون المسيحيون - في نظر الإسلام - موحدن غير مشركين ، محقين في إيمانهم غير ضالين ، مؤمنين غير كافرين ، لأن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(١) .

وقال أيضاً: « شهد القرآن للنصارى بحسن الأخلاق ، مما يدل على تأثير المسيحية في أخلاق تابعيها ؛ فقد جاء في سورة المائدة: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾^(٢) .

وذكر آيات أخرى ثم قال: فهذه الآيات شهدت للمسيحيين بالمودة والوداعة... وأثرتهم على غيرهم من أهل الكتاب ، وفضلتهم على سواهم من أصحاب الشرائع والملل الأخرى ، وحضت على الركون إلى محبتهم بما يُجلي الريب عن عقيدتهم ؛ فقد صرحت بأنهم غير مشركين ، وأنهم أقرب الناس مودة نحو المسلمين ، عكس الكافر والمشرك ؛ فإنهما عدوان لدودان للمؤمن دائماً وأبداً^(٣) .

والجواب: أما الآية الأولى: فلا تشهد لعموم النصارى بالإيمان أبداً ، فلو كانت تشهد لعامة النصارى بالإيمان لشهدت لعامة اليهود والصابئين أيضاً بالإيمان ، إذ إنها تناولت اليهود والصابئين بالسياق نفسه كما تناولت النصارى ، فلو شهدت لعامة النصارى بالإيمان لشهدت لعامة اليهود والصابئين أيضاً بالإيمان ، ولكان

(١) المسيحية في الإسلام: ص ٧ .

(٢) سورة المائدة: ٨٢ .

(٣) المصدر السابق: ص: ٩- ١٠: وبهذه المناسبة نهيب بالإخوة الذين يحصلون على مثل هذه الكتب أن يعطوها للعلماء وأهل الاختصاص لكي يردوا عليها ، فإنها محشوة بالكذب والتدليس والتزوير ، وبخاصة كتب القس إسكندر جديد ، وكتب زكريا بطرس . ومن أخطر الكتب مؤلفات الأستاذ الحداد مثل: الإنجيل في القرآن ، وهو في ستة أجزاء كبيرة لم أقف إلا على اثنين منها ، وقد حشاه بكلام كاذب كثير جداً ، وبأسلوب خبيث . فترجو من أهل العلم أن يقوموا بواجبهم بالرد على هذه الكتب وكشف ما فيها من باطل ، فإنها توزع بين الشباب المسلم ، وهذه مسألة في غاية الخطورة .

اليهود والصائبون مع النصارى سواءً بسواء ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون!! وهذا ما لا يقبله النصارى ولا يقولون به ، ذلك أن النصارى ينظرون لليهود على أنهم بعيدون عن الإيمان في أقل تقدير لتكذيبهم وكفرهم بالمسيح .

إن الآية الكريمة خصت بالشواب من آمن منهم وليس جميعهم، وفوق ذلك فإن إيمان النصارى بالله قائم على التثليث والوهية المسيح^(١) وليس على التوحيد الذي هو رأس الأمر، وكذلك فإن إيمانهم لم يقم على التنزيه المطلق لله تعالى، وكتابتهم خير دليل على ذلك كما بينا ، وأيضاً: فإن لازم إيمانهم هو الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ، والإيمان بما أنزل إليه ، لكن الواقع يبين أن أغلبهم يكفر بمحمد وبما أنزل إليه ، وهذا الركن مفقود ؛ فكيف يوصفون - والحال هذه - بالإيمان الصحيح ؟ فالآية خصت من آمن منهم إيماناً صحيحاً بالله وباليوم الآخر بالشواب والجزاء الحسن، فبطل بذلك استدلالهم بهذه الآية.

ونحن بدورنا نتناول فقرة من الإنجيل ونطرحها على النصارى لنرى إن كانوا مؤمنين حقاً أم لا ؛ ففي [إنجيل متى ٢٠/١٧] ، قال يسوع: «الحق أقول لكم لو كان عندكم إيمان مثل حبة خردل لكتتم تقولون للجبل انتقل من هنا إلى هناك لانتقل » .

ونحن نقول للنصارى: إن المسيح عليه السلام يبين أن الذي يتمتع بشيء من الإيمان - ولو بمقدار حبة خردل - فإنه يتمكن من الإتيان بالمعجزات ، بحيث لو قال للجبل: « انتقل من هنا لانتقل » ، فزيد منهم أن يبرهنوا على وجود الإيمان في نفوسهم بمعجزة سهلة ، فهل يستطيعون ذلك ؟ !

أما الآية الثانية: ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ .

فيزعمون أن الآية فيها ثناء ومديح لهم .

والجواب عنها: إن هذا الثناء إنما هو خاص بالذين آمنوا بمحمد ﷺ ، ولا شك في أن الذين دخلوا في الإسلام من النصارى أكثر من الذين دخلوا فيه

(١) لنا رسالة أخرى حول الوهية المسيح ، نسأل الله أن يسر لنا نشرها .

من اليهود ، ودليل ذلك ما جاء في الآيتين (٨٣ - ٨٤) من سورة المائدة ، وهما الآيتان اللتان تليان الآية التي استشهد بها قبل ذلك : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ .

فهو سبحانه وتعالى لم يعد بالثواب في الآخرة إلا هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ الذين قال فيهم : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ .

والشاهدون : هم الذين شهدوا للنبي ﷺ بالرسالة ، فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ومنهم النجاشي ملك الحبشة ومن معه ، الذين نزلت فيهم هذه الآية ، ولهذا فسر ابن عباس وغيره قول الله تعالى : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ، قال : محمد ﷺ وأمته ، وكل من شهد للرسول بالتصديق فهو من الشاهدين ؛ كما قال الحواريون : ﴿ ربنا آمنا بما أنزل واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ^(١) .

وإذا كان القرآن الكريم قد أثنى على هؤلاء القساوسة والرهبان الذين عرفوا الحق فأعلنوه واتبعوه ، فلقد نعى على غيرهم من الذين اتخذوا الدين تجارة وأخذوا يكتزون الذهب والفضة ، وينصبون أنفسهم للناس آلهة يحلون ما شأؤوا ويحرمون ما شأؤوا ، يُدخلون الجنة من شأؤوا ويحرمون منها من ييغضون ؛ قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، يا أيها

(١) سورة آل عمران: ٥٣ .

الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون ﴿١١﴾ .

وختاماً أقول: إن هذه الرسالة - المباركة إن شاء الله - هي دعوة للنصارى عامة والقسيسين على وجه الخصوص ، ليراجعوا أنفسهم بخصوص كتابهم إن كان من عند الله أم أنه قد عبثت به الأيدي فأخرجته عن قدسيته ؟ إن المسألة هذه من ورائها جنة أو نار ، فماذا يختارون !!؟

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلها خالصة له وحده خالية من أي شائبة شرك أو رياء أو عجب أو سمعة أو إحباط عمل ، وأن ينفع بها إخواني ، وأن يجعلها من الأعمال التي لا ينقطع عني نفعها ، بعد أن أدرج في أكفاني ، وأملنا في كل من انتفع بها أن لا ينسانا من دعوة صالحة .

والحمد لله أولاً وآخراً .

